

تفسير السعدي

@ 95 @ على الفعل وأن فعله تعالى المتعلق بنفسه والمتعلق بخلقه هو كمال فإن زعموا أن إثباتها يدل على التشبيه بخلقه قيل لهم : الكلام على الصفات يتبع الكلام على الذات فكما أن لا ذاتا لا تشبهها الذوات فلا تشبهها الصفات فصفاته تبع لذاته وصفات خلقه تبع لذواتهم فليس في إثباتها ما يقتضي التشبيه بوجه | ويقال أيضا لمن أثبت بعض الصفات ونفى بعضا أو أثبت الأسماء دون الصفات : إما أن تثبت الجميع كما أثبتته | لنفسه وأثبتته رسوله وإما أن تنفي الجميع وتكون منكرا لرب العالمين وأما إثباتك بعض ذلك ونفيك لبعضه فهذا تناقض ففرق بين ما أثبتته وما نفيتة ولن تجد إلى الفرق سبيلا فإن قلت : ما أثبتته لا يقتضي تشبيهها قال لك أهل السنة : والإثبات لما نفيتة لا يقتضي تشبيهها فإن قلت : لا أعقل من الذي نفيتة إلا التشبيه قال لك النفاة : ونحن لا نعقل من الذي أثبتته إلا التشبيه فما أجبت به النفاة أجابك به أهل السنة لما نفيتة | والحاصل أن من نفى شيئا وأثبت شيئا مما دل الكتاب والسنة على إثباته فهو متناقض لا يثبت له دليل شرعي ولا عقلي بل قد خالف المعقول والمنقول | (211) ! 2 ! يقول تعالى : ! 2 ! تدل على الحق وعلى صدق الرسل فتيقنوها وعرفوها فلم يقوموا بشكر هذه النعمة التي تقتضي القيام بها | بل كفروا بها وبدلوا نعمة | كفرا فلهذا استحقوا أن ينزل | عليهم عقابه ويحرمهم من ثوابه وسمى | تعالى كفر النعمة تبديلا لها لأن من أنعم | عليه بنعمة دينية أو دنيوية فلم يشكرها ولم يقم بواجبها اضمحلت عنه وذهبت وتبدلت بالكفر والمعاصي فصار الكفر بدل النعمة وأما من شكر | تعالى وقام بحققها فإنها تثبت وتستمر ويزيده | منها | (212) ! 2 ! يخبر تعالى أن الذين كفروا بـ | وبآياته ورسله ولم ينقادوا لشرعه أنهم زينوا لهم الحياة الدنيا فزينت في أعينهم وقلوبهم فرضوا بها واطمأنوا بها وصارت أهواؤهم وإراداتهم وأعمالهم كلها لها فأقبلوا عليها وأكبوا على تحصيلها وعظموها وعظموا من شاركهم في صنيعهم واحتقروا المؤمنين واستهزأوا بهم وقالوا : أهؤلاء من | عليهم من بيننا ؟ وهذا من ضعف عقولهم ونظرهم القاصر فإن الدنيا دار ابتلاء وامتحان وسيحصل الشقاء فيها لأهل الإيمان والكفران بل المؤمن في الدنيا وإن ناله مكروه فإنه يصبر ويحتسب فيخفف | عنه بإيمانه وصبره ما لا يكون لغيره | وإنما الشأن كل الشأن والتفصيل الحقيقي في الدار الباقية فلهذا قال تعالى : ! 2 ! فيكون المتقون في أعلى الدرجات متمتعين بأنواع النعيم والسرور والبهجة والحبور | والكفار تحتهم في أسفل الدرجات معذبين بأنواع العذاب والإهانة والشقاء السرمد الذي لا منتهى له ففي هذه الآية تسلية للمؤمنين ونعي على

الكافرين | ولما كانت الأرزاق الدنيوية والأخروية لا تحصل إلا بتقدير الله ولن تنال إلا بمشيئة الله قال تعالى : ! 2 2 ! فالرزق الدنيوي يحصل للمؤمن والكافر وأما رزق القلوب من العلم والإيمان ومحبة الله وخشيته ورجائه ونحو ذلك فلا يعطيها إلا من يحب | (213) ! 2 ! (أي : كان الناس) [أي : كانوا مجتمعين على الهدى وذلك عشرة قرون بعد نوح عليه السلام فلما اختلفوا في الدين فكفر فريق منهم وبقي الفريق الآخر على الدين وحصل النزاع وبعث الله الرسل ليفصلوا بين الخلائق ويقيموا الحجة عليهم وقيل بل كانوا] مجتمعين على الكفر والضلال والشقاء ليس لهم نور ولا إيمان فرحمهم الله تعالى بإرسال الرسل إليهم ! 22 ! من أطاع الله بثمرات الطاعات من الرزق والقوة في البدن والقلب والحياة الطيبة وأعلى ذلك الفوز برضوان الله والجنة | ! 2 2 ! من عصى الله بثمرات المعصية من حرمان الرزق والضعف والإهانة والحياة الضيقة وأشد ذلك سخط الله والنار | ! 2 2 ! وهو الإخبارات الصادقة والأوامر العادلة فكل ما اشتملت عليه الكتب فهو حق يفصل بين المختلفين في الأصول والفروع وهذا هو الواجب عند الاختلاف والتنازع أن يرد الاختلاف إلى الله وإلى رسوله ولولا أن في كتابه وسنة رسوله فصل النزاع لما أمر بالرد إليهما | ولما ذكر نعمته العظيمة بإنزال الكتب على أهل الكتاب وكان هذا